

الحوار النقدي مع المخالفين خصائصه وأساليبه

دراسة قرآنية

د. عثمان علي حسن
جامعة أفريقيا العالمية

مقدمة

ونور، وهدي وشفاء لما في الصدور.
بل إن القرآن يصل إلى درجة إغراء المخالفين بالدخول في الحوار، فيأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتنزل في الجدل إلى مستوى خصمه، فيقول: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) سبأ: ٢٤
وقد كان من بركة هذا الأسلوب في الدعوة أن حققت دماء، واهتدت عقول، وثابت إلى الحق جموع، فها هو الإسلام بالجدال وحده يزداد قوة ومنعة يوماً بعد يوم حتى قامت له دولة في المدينة، وانساح في الأرض حتى شمل أرجاء المعمورة..

«وقد تهزّم العساكر الكبار، والحجة الصحيحة لا تغلب أبداً، فهي أدعى إلى الحق، وأنصر للدين من السلاح الشاكي، والأعداد الجمّة... لأن السيف مرة لنا ومرة علينا، وليس كذلك البرهان، بل هو لنا أبداً، ودامغ لقول مخالفينا، ومزهق له أبداً، ورب قوة باليد قد دمغت بالباطل حقاً كثيراً فأزهقته... وقد قتل أنبياء كثير وما غلبت حجتهم قط»^١

وقال الخليفة المأمون صاحب السيف والسلطان: «غلبة الحجة أحب إلي من غلبة القدرة، لأن غلبة القدرة تزول بزوالها، وغلبة الحجة لا يزيلها شيء»^٢.
وقد استخدم القرآن الكريم الحوار والجدال

النسبة إلى الله تعالى على نوعين: نسبة صفات، ونسبة أعيان، الأول مثل: رحمة الله وعلم الله، والثاني مثل: رسول الله وبيت الله وناقة الله، وكلا النوعين له الشرف والمزية بنسبته إلى الباري جل وعلا، لكن الأول أعظم شرفاً ومزية، إذ هو من باب نسبة الصفة إلى موصوفها، ومن ذلك القرآن الذي هو كلام الله وكفاه بذلك شرفاً ورفعة، وعليه فكل علم من علوم هذا القرآن له من الشرف والمكانة مثلاً للقرآن، ومن ذلك الحوار القرآني..

الحوار مقابلة الحجة بالحجة، والدليل بالدليل؛ لإظهار الحق، وهناك حوار آخر جرى به مصطلح المعاصرين يعنون به التعايش السلمي على أساس القواسم المشتركة بين الشرائع المجتمعية المختلفة، من غير تهاresh ولا تناحر، والنوعان في القرآن الكريم لهما وجود ونماذج، وإن كان حوار التعايش لا يلغي المبادئ، بل لا يلغي حوار الاحتجاج والاستدلال الذي هو موضوع الورقة..

فالحوار ضرب من ضروب بيان الحق وتأييده، وقمع الباطل وتزهيقه، فلا أقوى من من سلطان الحجة، ولا أسطع من نور الدليل والبرهان، وهذا من أعظم ما يمتاز به دين الله الحق؛ إذ هو حجة وبينة، ودليل وآية، وبرهان

رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه، أي رجع إليه ما نسب إليه. وكل شيء تغير من حال إلى حال فقد حار يحور حوارا، قال لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه
يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

والحور: النقصان بعد الزيادة؛ لأنه رجوع من حال إلى حال. وفي الحديث: نعوذ بالله من الحور بعد الكور. معناه من النقصان بعد الزيادة، وقيل معناه: من فساد أمورنا بعد صلاحها، وأصله من نقض العمامة بعد لفها، مأخوذ من كور العمامة إذا انتقض ليها.

والحور: التحير، والتردد؛ إما بالذات وإما بالفكر، وحار الماء في الغدير إذا تردد فيه، وحار في أمره: تحير. ومنه المحور، يقال للعود الذي تجري عليه البكرة لتردده.

ومنه سميت محارة الأذن لظاهاها المنقعر تشبيها بمحارة الماء لتردد الهواء بالصوت فيها كتردد الماء في المحارة.

والمحاورة: المجاورة، والتحاور: التجاوب. يقال: ما أحرار جوابا، أي ما رد جوابا. واستحارته: استنطقه.

والمحاورة والحوار: المراجعة في الكلام ومنه التحاور كما في قوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) المجادلة: ١٥

والحور: شدة سواد المقلة في شدة بياضها، في شدة بياض الجسد. وقيل: تسود العين كلها مثل أعين الأطباء وليس في بني آدم حور، وإنما قيل للنساء حور العين تشبيها لهن بالطباء والبقرة.

كثيرا، وعلى أساليب شتى، وفي حالات متنوعة: من تنبيه لغافل، أو إرشاد لمسترشد، أو إفحام لمعانده متلدد.

فالقرآن الكريم واجه الخصوم والمخالفين له وتصدى لهم، وناظرهم فيما يعتقدونه، وقطعهم بالحجة البالغة، والسلطان القاهر، فما استطاعوا له ردا، ولا عنه حولا، حتى خرس منهم اللسان، وبلد الجنان، وأطفئ البيان، وذهل العقل، وظهر العجز، حتى قال قائلهم: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه.

وللحوار مع المخالفين خصائص وأساليب يمكن استنباطها من القرآن الكريم، حتى ننتفع بها في حوارنا المعاصر مع المخالفين للإسلام والمناوئين له، وجاء هذا البحث في ثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

تمهيد: التعريف بالحوار في اللغة والاصطلاح.
المبحث الأول: خصائص الحوار القرآني مع المخالفين.
المبحث الثاني: أساليب الحوار القرآني مع المخالفين.
المبحث الثالث: تطبيقات الحوار القرآني مع المخالفين.
الخاتمة.

سائلا الله تعالى التوفيق والتسديد، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

التمهيد: التعريف بالحوار في اللغة والاصطلاح

أولا: الحوار لغة وأصطلاحا

أ- المعنى اللغوي:

الحور: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، حار إلى الشيء وعنه حورا ومجارا ومجارة.

ففي القرآن الكريم: (إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ) الانشقاق: ١٤ أي لن يبعث، وفي الحديث: من دعا

الجدل، واعتباره مذموماً على الإطلاق، وأنه صفة لا تليق بذي حكمة وعقل أن يتصف بها، بعكس المناظرة والمحاورة، فهي مقبولة عندهم، والحوار أشد قبولا من المناظرة، لا سيما في عصرنا هذا، وقد كثر استعمال الحوار على أنه نمط حضاري يعني التقارب والتفاهم والتعايش، ولهذا الشعور عدة مبررات:

منها التعريف اللغوي حيث تدور مادة جدل حول معان منها الفتل والشدة والصراع واللدن في الخصومة والمنازعة والمغالبة.^٦

ومن ذلك - أيضا - ارتباط الجدل بالفلاسفة الإغريق وما اشتهر عنهم من قصص وغرائب في هذا المجال، وأن الجدل عندهم مجرد مغالبة وكسر للخضم وإسكات له بغض النظر عن بلوغ الحق والصواب أم لا. ومن ذلك أيضا استعمال القرآن الكريم - في مواضع كثيرة - مصطلح الجدل والجدال على وجه الذم.

ولهذا نجد أن بعض العلماء فرقوا بين الجدل وبين غيره من الأسماء الأخرى كالمباحثة والمناظرة والمحاورة والمناقشة ونحو ذلك من الأسماء، على أن الجدل مذموم بإطلاق أما الأخرى فلا تأخذ حكم الجدل في الذم، قال شارح الولدية بعد أن عرف المناظرة وبين أن المراد منها ظهور الصواب مطلقا قال: وهو احتراز عن الجدل، فإنه مدافعة لإسكات الخصم؛ لأن كلا من المجادلين يريد حفظ مقاله وهدم مقال خصمه، سواء كان حقا أو باطلا.^٧

وفي الحقيقة أن هذا الشعور ليس دقيقا، وهذا التفريق بين الجدل وغيره في الذم والمدح ليس علميا، بل هذه الألفاظ والأسماء تجري

والحوريات من النساء: النقيات الألوان والجلود لبياضهن. والتحوير: التبييض، والحواريون: صفوة الأنبياء الذي قد خلصوا لهم، وهم الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب. قال ابن سيده: وكل مبالغ في نصرة آخر حوار. وسمي أصحاب عيسى بذلك لأنهم كانوا يغسلون ثيابهم ويبيضونها.

وتحتل التسمية من شدة الملازمة والمناصرة.

والحوار: ولد الناقية من حين يوضع إلى أن يكبر ويُفصل، فإذا فصل عن أمه فهو فصيل، وإنما سمي حوارا لملازمته لأمه وعدم استغنائه عنها.

ب- معنى الحوار اصطلاحاً:

الحوار في اصطلاح الناس: المراجعة في الكلام بين اثنين أو أكثر، وقد يقع بين الشخص ونفسه، وقد يكون بصيغة الاستفهام والجواب، أو المعارضة بالحجج والبراهين.

والحوار تفاعل بين اثنين أو أكثر، بهدف التواصل الإنساني أو تبادل الأفكار والخبرات وتكاملها.

الحوار نشاط يومي نمارسه في المنزل والمدرسة والعمل، وفي القضاء والتقاضي، وفي النادي والمسجد، وفي وسائل الإعلام وغير ذلك من المجالات، وبقدر ما يكون إيجابيا يكون مثمرا في حياة الفرد والجماعة، وبقدر ما يكون سلبيا يكون معول هدم لكيان الفرد والجماعة. ومن ألقاب الحوار: الجدل والمناظرة والمناقشة والمفاكرة والمباحثة ونحو ذلك من الألفاظ.

ج- الحوار والجدل:

قد يقع في نفوس الكثيرين النفور من ذكر

يمدح أو يذم، سواء سمي مجادلاً أو مناظراً أو محاوراً أو مناقشاً أو مباحثاً أو نحو ذلك من الأوصاف والألقاب.

المبحث الأول: خصائص الحوار القرآني مع المخالفين:

للحوار القرآني خصائص تجعل منه نسقاً متميزاً عن غيره من الحوارات المنتسبة إلى أصناف المدارس الفلسفية والفكرية التي اشتهرت بالحوار والجدال، وأذكر هنا أبرز هذه الخصائص:

أولاً: القرآن كتاب هداية:

القرآن الكريم كتاب هداية، هداية للناس كافة، وعلى مختلف مستوياتهم العقلية والعاطفية، فما فيه من الحوار والاستدلال المقصود منه - في الدرجة الأولى - هداية الناس وإرشادهم، أو حماية المؤمنين من عدوان المعتدين بدفع شبهاتهم وتفنيدها، وعلى ذلك فهو يختلف عن الطرق البشرية في الحوار التي يقصد منها مجرد الغلبة والفلج، وإظهار الفرح بالانتصار، وإغاظة الخصم بذلك، فالمحاور من الناس قد تكون له غايات فاسدة من حبّ العلو في الأرض والإفساد فيها ونحو ذلك. لكنك تجد القرآن يقر - في أدب رفيع وإنصاف بليغ - للخصم ما معه من الحق؛ كما في قوله تعالى تعقيباً على قول ملكة سبأ: (إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَهْلَهَا أَذْلَةً) النمل: ٢٤ وكانت كافرة يومئذ، لكن لما كان الغالب على سيرة الملوك الإفساد في الأرض، وتكيس أوضاع الناس، قال الله تعالى: (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَهْلَهَا أَذْلَةً أَذْلَةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) النمل: ٢٤ وفي حوار القرآن أسلوب التنزل مع الخصم

على نسق واحد في الذم والمدح، وذلك بحسب قصد المستخدم لها، وبحسب التزامه بأصولها وقواعدها ونتائجها.

فقد جاء في كتب اللغة أيضاً أن من معاني الجدل: القوة والإحكام وهو أمر محمود بلا شك، والقرآن الكريم وإن كان قد أكثر من ذكر الجدل في مواضع مذمومة، لكنه أيضاً ذكره في مواضع محموددة، بل أمر المؤمنين بالجدال بالتي هي أحسن. بل إن القرآن سمى الجدل محاوراً كما في قصة المجادلة؛ فقد قال تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) المجادلة: ١ وذلك على سبيل التقرير لا الإنكار.

والقرآن الكريم أيضاً وصف كلام صاحب الجنين الملحد المنكر للبعث بالحوار والمحاورة، كما وصف كلام خصمه المؤمن بالحوار والمحاورة أيضاً، فقال عن الأول: (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) الكهف: ٢٧.

وأما الفلاسفة وإن كان لهم في ذلك غرائب وعجائب كحال السوفسطائيين، فإن منهم - أيضاً - أفذاذا وجهابذة في هذا المجال، وهذا أمر لا يخطئه باحث.

ولهذا نجد أن الإمام الجويني رحمه الله لا يفرق بين الجدل والمناظرة وينسب ذلك لأهل العلم بالأصول والفروع.^٨

وعليه نقول إن هذه الألفاظ والأسماء تجري عليها أوصاف المدح والذم، فليس الذم قصراً على بعضها دون بعض، وإنما يرجع ذلك إلى قصد المجادل والمحاور وطريقته في الجدل والمحاورة، وموقفه من نتيجة ذلك، وعلى ذلك

القرآن من علوم شتى سبق بها أهل العصر، حتى كان ذلك سببا في إسلام بعضهم. والفرق بين القرآن وكلام أعلى أئمة البيان يجعل الموازنة غير مستقيمة، فالفرق بين القرآن وبين غيره، هو كالفرق بين الخالق والمخلوق؛ لأنه فرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق.^١

إذا كان القرآن الكريم معجزا في بيانه وغيره من ضروب الإعجاز، فإن الحوار ضرب من ضروب البيان أيضا، ومن ثم فهو معجز إعجاز القرآن، فإن القرآن معجز في كل مواد الحوار والجدل من: بلاغة وفصاحة وحجة وأدلة وبراهين وغير ذلك، يقول أبو بكر الباقلائي رحمه الله: «إن المعاني التي تضمنها أي القرآن - في أصل وضع الشريعة والأحكام، والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحدين، على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع».^٢

والمقصود من ذلك بيان أن ما يتضمنه الحوار القرآني من الحجج والبراهين لا يمكن مغالبتها فضلا عن كسرها، لأنها من كلام الله تعالى المعجز، *يَعْلَمُ وَلَا يَعْلى عَلَيْهِ*؛ إذا سمعته الجن قالوا: *(قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا)* الجن: ١، وإذا سمعه غير المستكبرين من النصاري: *(وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)* المائدة: ٨٢، أما أهل الاستكبار والجحود فيقولون: *(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)* فصلت: ٢٦.

إلى درجة أنه يساوي بين الحق والمبطل أمام القضية المتناظر فيها: *قَالَ تَعَالَى: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَأَنَا أَوْ يَاكُمْ لَعَلَّى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)* سبأ: ٢٤ إلى غير ذلك مما يستنكف كثير من الناس أن يخضعوا له.

فحوار القرآن لا يتجه إلى مجرد الإفحام والإلزام، بل يتجه في الكثير الغالب إلى إرشاد الخلق المخاصمين، والأخذ بأيديهم إلى الحق، وتوجيه النظر إلى الحقائق وما في الكون من دلائل الحق والإيمان.^٣

ولهذا كان حوار القرآن بالتي هي أحسن، وأمر الله المؤمنين أن يجادلوا بالتي هي أحسن، أحسن لا حسن، وإذا جاء في جدال القرآن الشدة والتعنيف على الخصم، فهذا لا يرجع أسلوب الدعوة القرآنية، وإنما يرجع إلى أمور ذاتية تتعلق بالخصم، بسبب علوه وعناده، ولعل ذلك يفهم من الاستثناء الوارد في المجادلة مع أهل الكتاب - ويغلب على اليهود منهم العناد - *قَالَ تَعَالَى: (وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)* العنكبوت: ٦؛ فالأصل في حوار القرآن أنه هداية للضال، وتنبيه للغافل، وتعليم للجاهل، وإرشاد للمسترشد، ثم قطع للمعاند المتلدد؛ لدفع صياله وحسم شره المتعدي إلى الغير، وهذا ما ينبغي أن نستفيد منه في دعوتنا للآخرين.

ثانيا: حوار القرآن معجز إعجاز القرآن: ثبت أن القرآن هو المعجزة الكبرى لنبيينا عليه الصلاة والسلام، وكل ما في القرآن معجز: إيجازه وإطنابه، وألفاظه، وأساليبه، ونظمه، وكذا استدلاله وجدله، وكذا تشريعه وما فيه من العدل والرحمة، وكذا ما يتضمنه

ثالثاً: بقاء حجة القرآن وشمولها:

إن بقاء حجة القرآن ودوامها يكمن في صدقها، وقوة حجيتها، وسعة شمولها، فحجتها باقية ما بقيت السموات والأرض، وعامة لكل الناس على مختلف أزمانهم ومراتبهم في الفهم والإدراك، وهذا البقاء والشمول مستمدان من بقاء الرسالة وشمولها: قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) الأعراف: ١٥٨ وفي الحديث: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»^{١٢}

فلا يتصور أن أحداً - أيا كان زمانه أو مكانه - يجروا على معارضة حجة القرآن بما يقطعها، أو يشكك في مصداقيتها، على ما يكون من حجج بعض الناس التي قد تكون قاطعة لبعضهم، وفي وقت من الأوقات، ثم لا تلبث أن يعرف بعض الناس بطلانها أو ضعفها، أما حجة القرآن فتبقى قاطعة لكل حجة لا يغير من ذلك زمان ولا مكان ولا إنسان، فالناس لا يزالون - وفي عصر العلم - يدخلون في دين الله الحق أفواجا، على الرغم من قوة المعوقات المتمثلة في حرب التشويه والتشكيك والإبادة التي تُشن ضد الإسلام، وأكثر الداخلين في الإسلام من عليّة القوم؛ من أكاديميين وخبراء وقادة ومفكرين وفلاسفة ورجال دين ونحوهم، وصدق الله تعالى إذ يقول: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) فصلت: ٥٢.

رابعا: إفادة حجة القرآن اليقين لا الظن:

ومن خصائص الحوار القرآني أن الأدلة القرآنية لها من القطعية في الثبوت مثلاً

للقرآن الكريم من ذلك، إذ نصوصه قد وردت بطريق التواتر الذي يفيد العلم اليقيني الاضطراري؛ فلا شك ولا ظن في ثبوت أدلته، كما لا شك ولا ظن في ثبوت نصوصه، هذا من جهة الورد، وكذلك من جهة المعاني والدلالات، فأدلة الحوار القرآني قطعية؛ لأن المراد بها تقرير القواعد الاعتقادية، وإقامة البراهين على صحتها، والرد على الخصوم إذ هو من أعظم ما جاء القرآن لتقريره، فلا بد أن يكون في وضوح معانيه، وقوة دلالاته، ودقة مقاصده ما يجعله هداية للضالين، وقطعا للمعاندين، وحجة على الخلق أجمعين، فلا تناقض بين أدلته وبراهينه كما قال تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) النساء: ٨٢، ولا ضعف في قوة حجة القرآن ووضوح حجته كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ - لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) فصلت: ٤١ - ٤٢.

قال أبو عبد الله الرازي - مع خبرته في الفلسفة والكلام - في آخر عمره: «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيته تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ أقرأ في الإثبات: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) طه: ٥ (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) فاطر: ١٠ وأقرأ في النفي: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) الشورى: ١١ (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) طه: ١١٠ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي»^{١٣}.

خامسا: التحاكم إلى العقل الصريح:

العقل هو أغلى ما يفاخر به المخاصم، والقرآن لا يخاف نتائج العقول؛ لأنها - دائماً

من ذلك كله وأذعنوا لصوت عقولهم لكانوا في الحق راغبين وبه منادين. ولهذا لا تجد في القرآن ولا في السنة نصا واحدا يذم العقل، وإنما الذم متجه إلي الهوى والظن والعناد والاستكبار: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى) النجم: ٢٢.

سادسا: مخاطبة العقل والوجدان جميعا: من خصائص القرآن الكريم أنه يخاطب العقل والوجدان جميعا، فيأتي بالفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معا، وعلى مستوى واحد، مما لا يوجد مثله عند أي إنسان عالما كان أو حكيما أو شاعرا، يستطيع أن يمسك الأمر من طرفيه، فيأتي بكلام واحد فيه قوة الحجة العقلية وجمال العبارة البيانية، ولو وُجدا عنده فلا يعملان إلا متناوبة، كلما قويت واحدة اضمحلت الثانية لحسابها، بل كاد أن ينمحي أثرها، وكلنا يحس من نفسه تناقص قوة الوجدان عند استيلاء قوة التفكير، والصد بالصد. وهذا واضح حينما تستمع إلى أصحاب الدراسات الفلسفية، أو إلى أصحاب الدراسات الأدبية والبيانية.

أما القرآن فالأمر يختلف؛ وهاك مثالين من عدد كبير من الأمثلة:

الأول: قوله تعالى: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهُ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) الأنبياء: ٢٢ وتأمل وتدبر كيف اجتمع في هذه الكلمات المكدودة عمق المقدمات اليقينية، ووضوحها، ودقة تصوير البياني الرائع لما يعقب التنازع من الفساد المدمر؛ مما لو ابتنى تقرير مثله فلاسفة العصور كلها لما استطاعوا إليه سبيلا، إلا بعبارة طويلة معقدة وجافة، كما قال ابن تيمية في نقده للمنطق الأرسطي: «... ولكن فيه تطويل كثير متعب فهو مع أنه لا ينفع

. إذا كانت صحيحة صريحة . لا تتعارض مع الحقائق الإيمانية، بل القرآن يجت على أعمال الفكر والنظر والتدبر، واستخدام العقل إلى الغاية الممكنة قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى خِثْلٍ بَازِلٍ ثُمَّ تَقَفُّوا مَا بَصَابِحَكُمْ مِنْ جَنَّةٍ إِنَّهُ هُوَ الْبَاقِي لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) سبأ: ٤٦.

وهناك قوانين عقلية لا يمكن الاختلاف فيها، كوجوب الجمع بين المتماثلات، والتفريق بين المختلفات، والحاق الشيء بنظيره، وإعطاء الفرع حكم الأصل، ونحو ذلك، وليس في القرآن ما يعارض هذا وأمثاله، بل في القرآن ذم الذين يجادلون في الله بغير حجة: لا من كتاب ناطق، ولا من عقل صادق.

واشتمال الحوار القرآني على القوانين العقلية الصريحة يجعله حجة على كل الناس، لا سيما الذين غلبت عليهم الدراسات العقلية والفلسفية، أو الذين لهم مذاهب دينية سابقة يتعصبون لها، ولا ينقلبون عنها إلا بقناعات جديدة، وهذا ما يضمنه الحوار القرآني لهؤلاء جميعا، إذا تخلوا عن التعصب والعناد.

فمرحبا بكل من يعول على عقله؛ لا على هواه أو على عاداته التي ورثها عن الآباء والأجداد: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا آَلَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) البقرة: ١٧٠ وعليه، فليس صحيحا أن يُسمى بعض مخالفين الدين الحق بالعقلانيين، بل لو كانوا عقلانيين حقيقة ما خالفوا الدين الحق، وإنما هي أهواء متغلبة، أو ظنون كاذبة، أو عادات مستحكمة، أو هو العلو والاستكبار كما هي النفسية الفرعونية النمرودية، والافلو تجردوا

في العلم، فيه إعتاب الأذهان وتضييع الزمان وكثرة الهذيان»^{١٤}.

المثال الثاني: قوله تعالى من سورة يوسف: (وَرَأَوْتَهُ فِي بَيْتِهِا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ) يوسف: ٢٣ انظر كيف تخرج من خلالها البراهين الساطعة والعظات البالغة، وكيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث: الحسب، وتغليق الأبواب، وكونه أجيرا عند امرأة العزيز، بدواعي العفاف الثلاث: الاعتصام بالله، ورعاية الأمانة، وتوقي الظلم. مقابلة صورت من هذا المشهد الممتع حوارا عنيفا بين جند الرحمن وجند الشيطان، بين صوت العقل وحرارة الغريزة، ووضعته أمام أصحاب الفطر السوية والعقول المستقيمة على كفتي ميزان، لينتصر اختيار الصديق، ويخسر اختيار الشيطان.

المبحث الثاني: أساليب الحوار القرآني مع المخالفين:

لحوار القرآن الكريم أساليب شتى، وطرق متنوعة تناسب أوضاع من تصدى القرآن لمحاورتهم، يمكن الإفادة منها في حواراتنا المعاصرة مع المخالفين، ومن هذه الأساليب:

١. قياس التمثيل^{١٥}:

وهو أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معلوم عند من يخاطبه، أو على أمر بدهي لا تنكره عقول بني آدم، ويبين الجهة الجامعة بينهما؛ بين الأمر المدعى وبين الأمر المعلوم. وأكثر أدلة القرآن الكريم على البعث والحياة بعد الموت تقوم على قياس التمثيل، ومنه قياس الغائب على الشاهد بالمقابلة بينهما، فمن ذلك قوله تعالى: (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ

مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ - قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ - الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ - أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ) يس: ٧٨ - ٨١ ففي الآيات: المقابلة بين ما لا يمكن إنكاره من المشاهدات والمعلومات وهي: النشأة الأولى، وخروج النار من الشجر الأخضر، وخلق السموات والأرض، وبين إنكار البعث. والخالق لها جميعها واحد، وهو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، فالقادر على ما ذكر من النشأة الأولى وخروج النار من الشجر الأخضر وخلق السموات والأرض مع عظم خلقها، قادر على النشأة الثانية، بل هي أهون. ولهذا كانت القاعدة العقلية: عدم العلم بالشيء ليس علما بالعدم، فليس كل ما لا يقع تحت الحواس الخمس يحكم بعدم وجوده، فالله تعالى يقول لمنكري البعث والجزاء يوم القيامة بعد أن كشف عنهم الغطاء وظهر الحق: (هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ - أَفَسِحَرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ) الطور: ١٤ - ١٥

٢. قياس الخلف: وهو إثبات الأمر بإبطال نقيضه، وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان، كما تقرره بدائنه العقول؛ كما للمقابلة بين الحياة والموت، والوجود والعدم، ونحو ذلك: فدليل الخلف أن يبطل النقيض الباطل ليثبت النقيض الحق؛ كالاستدلال على التوحيد بإبطال الشرك، كما في قوله تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ) المؤمنون: ٩١ فإذا ثبت بالحس أن الكون في غاية إتقان الصنعة، وإحكام

بل لله ولرسوله وللمؤمنين، فكأنه قيل لهم: صحيح ذلك، ليخرجن الأعز منها الأذل، لكن أنتم الأذل المخرج، والله ورسوله والمؤمنون هم الأعز المخرج.

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه، قال الإمام السيوطي رحمه الله^{١٨}: «ولم أر من أورد له مثالا من القرآن، وقد ظفرت بآية منه وهي قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذنِ قُلْ أَذْنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ يُؤْمِنُ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) التوبة: ٦١». فواضح أن المنافقين وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم . استهزاء . بأنه أذن، أي سميع، فأثبت القرآن الوصف دون المعنى المقصود منه، فالنبي يستمع للخير لا للشر.

٤. المناقضة: ومثاله قوله تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بَقَرَبَّانٍ تَأْكُلُ النَّارُ قُلُوبَهُمَا قَدْ جَاءَكُمُ الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) آل عمران: ١٨٢ معناه: أن العلة التي توجب . عندكم . الإيمان بالرسول قد وجدت (فلم قتلتموهم) فدل على أن التعليل بما ذكرتم غير صحيح، وهذا النقض وارد على معنى كلامهم، فدل على جواز إيراد ما يهدم كلام الخصم على أي وجه كان.^{١٩}

ومن ذلك . أيضا . قوله تعالى: (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ) القصص: ٤٨

٥. مجارة الخصم^{٢٠}: وذلك بأن تسلّم

النظام دلّ هذا على أن خالقه واحد لا شريك له، لا معاونة ولا منازعة، وهو ما يسمى بدليل التمانع في الخلق والإيجاد؛ أي إذا امتنع بالحس اختلال نظام الكون، وثبت بالحس دقة صنعه، امتنع أن يكون له أكثر من خالق؛ لأن تعدد الخالقين يعني المنازعة والمغالبة مما يؤدي إلى فساد النظام، وذهاب الإتيان، وهو أمر مشهود في التنارع بين السلاطين من أهل الدنيا.

ومن أمثلة قياس الخلف إثبات أن القرآن الكريم من عند الله بإبطال أن يكون من عند غيره، وذلك بانتفاء الاختلاف عنه؛ كما في قوله تعالى: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) النساء: ٨٢ فإذا ثبت أنه لا اختلاف فيه ولا تضارب ولا تناقض، بطل أن يكون من عند غير الله تعالى، ولزم أن يكون من عنده سبحانه وعز شأنه.^{٢١} فإن الواحد منا يحزنه أن يكون في كلامه تناقض واضطراب، فكيف ينسب ذلك إلى الله واهب الكمال!

٣. القول بالموجب^{٢٢}: وهو رد كلام الخصم من فحوى كلامه . أي بموجب كلامه . وقيل هو قسمان:

أحدهما: أن تقع صفة في كلام الخصم كناية عن شيء يريده، فتكون حجة عليه، وعلى خلاف ما يريده، مثاله قوله تعالى: (يَقُولُونَ لَنْ يَرْجِعَنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ) المنافقون: ٨ فالأعز وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، والأذل عن فريق المؤمنين، فأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فردّ الله ذلك عليهم، بأن أثبت صفة العزة لغير المنافقين،

من وَلَدَ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ) المؤمنون: ٩١ المعنى ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه سبحانه إلهًا، لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا تنظم أحواله، لكن الواقع بخلاف ذلك، فوجود إلهين فصاعدا محال، لما يلزم منه المحال.

وهذا النوع قريب من قياس الخلف المتقدم ذكره، إلا أنه ينفرد عنه بالتسليم الجدلي الوارد في الخيال لا في الواقع.

٧. إظهار تشهي الخصم وتحكمه :

وهو أن لا يكون للخصم حجة سوى مجرد التشهي والتحكم، فإن جاءه ما يوافق هواه قبله وإلا رده ودفعه. مثاله: قوله تعالى: (أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذِبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ) البقرة: ٨٧ وقوله تعالى: (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) البقرة: ٨٥ إذ الأخذ ببعض الكتاب موجب للأخذ بجميعة، فهو كله من عند الله، وما يكون من عند الله حق يجب الإيمان به جميعا، فلا يجوز التفريق بين أجزائه في الإيمان والإذعان على عادة الذي جعلوا القرآن عضين. قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «فهذا هو الذي تسميه النظائر والفقهاء: التشهي والتحكم، فيقول أحدهم لصاحبه، لا حجة لك على ما ادعيت سوى التشهي والتحكم الباطل، فإن جاءك ما لا تشتهيه دفعته ورددته، وإن كان القول موافقا لما تهواه وتشتهيه - إما من تقليد من تعظمه أو موافقة ما تريده. قبلته وأجزته، فترد ما خالف هواك وتقبل ما وافق هواك، وهذا الاحتجاج

للخصم بعض مقدماته مع الإشارة إلى أنها لا تنتج ما يريده ويقصده، بل هي تؤدي إلى ما يريده المستدل عليه؛ مثاله: قوله تعالى: (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِىَ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ آبَاؤُنَا فَاتُّنَا بِسُلْطَانٍ مُّبين - قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) إبراهيم: ١٠ - ١١ فقول الرسل: «إن نحن إلا بشر مثلكم» فيه اعترافهم بالخصوصية البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عن أنفسهم، وليس هذا مرادهم، بل هو من باب مجارة الخصم لبيان خطئه، وذلك بتسليم دليله، لكن مع منع الدلالة، وذلك ببيان أن البشرية لا تنافي الرسالة: فكأنهم قالوا: ما ادعيت من كوننا بشرا حق لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي أن يُمْنُ الله علينا بالرسالة، وكون الرسل بشرا هو سنة الله في خلقه حيث يكون الرسول من جنس من أرسل إليهم، كما قال تعالى: (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا - قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا) الإسراء: ٩٤ - ٩٥

٦. التسليم:

وهو أن يفرض المحال إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه. مثال ذلك: قوله تعالى: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ

متظاهرين أن يأتوا بمثل القرآن: (قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) الإسراء: ٨٨ فلما عجزوا عن الإتيان بمثله، أو بمثل بعضه - وهم أرباب البلاغة وملوك البيان - بطلت دعواهم أن القرآن من كلام البشر.

وقد يترقى الأمر إلى المباهلة، لا سيما مع الذين يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم، مثال ذلك دعوة بعض النصارى إلى المباهلة في شأن عيسى عليه الصلاة والسلام: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) آل عمران: ٦١ فلم يفعلوا خوفا من الافتضاح والتعرض للعنة الماحقة، كما ورد في قصتهم في كتب السنن والسير.

ولما زعم أهل الكتاب - اليهود - ولاية الله لهم من دون الناس تحداهم الله بتمني الموت لتعجل ملاقة من يحيونه: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوُتَّ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) الجمعة: ٦-٧ وقال تعالى (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوُتَّ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ - وَلِتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجٍ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) البقرة: ٩٥-٩٥ وكيف يتمنون الموت مع ما عُرف عنهم من حب الحياة والحرص عليها؟!

... مفحم للخصم، لا جواب له عليه البتة».^{٢٢}

٨. الانتقال:^{٢٣}

وهو أن ينتقل المستدل إلى دليل آخر لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الدليل الأول، أو فهمها لكنه قصد المعاندة والمغالطة، فيأتيه المستدل بدليل آخر لا يملك أمامه إلا الإذعان أو الانقطاع. من أمثلة ذلك ما جاء في مناظرة إبراهيم الخليل للذي حاجه في ربه؛ قال تعالى: (أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) البقرة: ٢٥٨ قال ابن الحنبلي: «فَلَا يَخْلُو حَالُ نَمْرُودَ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَا فَهَمُ حَقِيقَةِ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، أَوْ فَهَمٌ إِلَّا أَنَّهُ قَصِدُ الْمَصَادِمَةِ وَالْمِبَاهَةِ، وَكِلَاهُمَا يَوْجِبُ الْعُدُولَ إِلَى دَلِيلٍ يَفْضَحُ مَعَارِضَتَهُ وَيَقْطَعُ حِجَاغَهُ، وَمَتَى كَانَ الْخَصْمُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ جَازَ لَخَصْمِهِ الْإِنْتِقَالَ إِلَى دَلِيلٍ آخَرَ أَقْرَبَ إِلَى الْفَهْمِ، وَأَفْلَحَ لِلْحُجَّةِ».^{٢٤}

٩. التحدي:^{٢٥}

وذلك إظهارا لعجز الخصم، ولبیان أن ما يدعيه مجرد مكابرة ولدد، لا يملك عليه حجة ولا برهانا، وظهر ذلك جليا في معارضة المشركين للقرآن الكريم، ونسبتهم إياه إلى قوله البشر، كما في قوله تعالى حكاية عنهم: (إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ) المدثر: ٢٥ فتحداهم الله تعالى. وهم أرباب البلاغة وملوك البيان. أن يأتوا بمثله، إن كان القرآن. كما يدعون. من صنع البشر، بل جاء التنزل معهم في التحدي مبالغة في إظهار عجزهم، فتحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتریات، ثم بسورة واحدة من مثله، ثم تحدى الثقلين جميعا: الجن والإنس،

المبحث الثالث:

تطبيقات حوار القرآن مع المخالفين:

الحوار في القرآن الكريم على ضربين: حوار تولى القرآن أمره مع المخالفين من شتى الأصناف من مشركين ومنافقين وأهل كتاب ومن في حكمهم، وحوار ذكر فيه القرآن الكريم محاورات للحق مع الباطل، جاءت على أسنة الرسل والمؤمنين من جهة وخصومهم من جهة أخرى. والمقصود في هذا المبحث ذكر نماذج تطبيقية للضرب الأول من الحوار باعتباره الأليق بموضوع الورقة، وفي موضوعات شتى تتركز حول: الألوهية والنبوة والبعث.

أولاً: الألوهية:

غالب الذين طعنوا في الألوهية ممن ذكرهم القرآن هم المشركون والكفار سواء الذين كانوا في زمن الأنبياء أو في زمن محمد عليهم جميعا صلوات الله وسلامه، وهؤلاء المخالفون إنما ينحصر طعنهم في مقام الألوهية في اتخاذ الأنداد والأوثان، وقل من ينكر مقام الألوهية بالكلية إلا ما جاء عن فرعون والنمرود، وإنما وقع ذلك منهما على سبيل العلو والعناد؛ كما جاء على لسان قوم فرعون: (فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ) المؤمنون: ٤٧؛ وقال تعالى عنهم: (وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) النمل: ١٤. أما المشركون فهم واقعون في التناقض لا محالة، التناقض مع فطرتهم ومع ما يقتضيه العقل المتجرد عن الهوى، والحس الذي لا يُنكر، وهو ما يركز القرآن على إثباته في حوارهم معهم: ولنأخذ لذلك أمثلة:

١- (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٢٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا

يُوقِنُونَ (٢٦) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِطَرُونَ (٢٧) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فَلَيَاتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٨) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ (٢٩) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٠) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤١) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ (٤٢) أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٣)) الطور: ٢٥-٤٣

فهذه محاصرة ومضايقة لا يجد المخالف منها فكاكا، والآية الأولى تبطل كل دعوى تنكر وجود الإله الحق، فالمخلوق - وهو أمر حسي لا يمكن التكرار لوجوده - مفتقر في وجوده إلى خالق، والخالق لا يمكن أن يكون المخلوق نفسه، كما لا يمكن تصور المخلوق بدون خالق، وإلا كان ذلك مقتضيا لوجود فعل بلا فاعل، وأثر بلا مؤثر، وصنعة بلا صانع، وهو أمر منكر في بدايه العقول.

فهذا الآية من أقوى الآيات في بيان توحيد الربوبية المستلزم لتوحيد الألوهية. ولهذا كان وقعها على المشركين كبيرا، كما روى البخاري في صحيحه^{٢٦} عن جبير بن مطعم قال: «سمعت النبي صلى الله عليه يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ - أَمْ خُلِقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ - أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِطَرُونَ) كاد قلبي أن يطير». وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في فداء الأسارى، وكان إذ ذاك مشركا، فكان سماعه هذه الآية من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام.^{٢٧}

ولما ظهر بطلان أن يكون الشيء قد أوجد نفسه، أو وُجد من غير مُوجد، فظهر بطلان

عِبَادَ أَمْثَالِكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤) أَلَمْ أَرْجُلِ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تَنْظُرُونَ (١٩٥) إِنْ وَلِيَیَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦) وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٧) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨) (الأعراف: ١٩١ - ١٩٨) فبين سبحانه في هذه الآيات أن آلهة المشركين لا تخلق شيئاً، بل هي مخلوقة مربوبة، وأنها لا تنصر عابديها، بل لا تنصر لنفسها إن أصابها سوء، وأنها لا تسمع دعاء من يدعوها، ولا تراه، فضلاً عن أن تستجيب له. والآيات على هذا النحو كثيرة في القرآن الكريم.

٤. إبطال دعوى نسبة الولد إلى الله تعالى، وقد اشترك في هذه الفرية اليهود والنصارى ومشركو العرب، فاليهود يقولون: عزير ابن الله، والنصارى يقولون: المسيح ابن الله، والمشركون يقولون: الملائكة بنات الله، ولهذا كانت سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن رداً على جميعهم.

أما النصارى فهم أشهر من نسب الولد إلى الله تعالى، ويستندون في دعواهم المنكرة إلى ولادة المسيح من غير أب، فرد الله فريتهم من عدة وجوه:

الأول: تمثيل عيسى بآدم كما في قوله تعالى: (إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) آل عمران: ٥٩ فإذا كانت البنوة لله تدعى بمجرد عدم وجود الأب (الفيسيولوجي) فأدم من باب أولى؛ لأنه خلق

خلقهم السموات والأرض. مع عظمها. من باب أولى، وكذلك بطلان تصرفهم في ملكوت الله تعالى.

٢. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذَّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَفْذِيهِ مِنْهُ ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ - مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) الحج: ٧٣ - ٧٤ ففي المثل المضروب بيان عجز من يدعى من دون الله، بأسلوب فيه التحقير من شأنه، فهو أعجز من أن يخلق ذباباً، مع ما طبع في النفوس من استحقار الذباب واستقذاره، والتحدي لجميع من عبد أو اعتقد في قدرته من دون الله أن يخلقوا ذباباً، ولو اجتمعوا لذلك، بل التحدي يترقى في عجزهم عن استرجاع ما يأخذه الذباب منهم، مما يبين ضعف الذباب وضعف ما يأخذه الذباب، ومن ثمَّ ضعف الإله المزعوم وضعف من يرجوه من الناس، فضعيف من يدعو من هو أضعف منه، يا له من استحقار للنفس! وما أعظم التكريم للإنسان حينما يكون عبداً لله!

وفي صحيح البخاري^{٢٨} عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: «قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخليقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو شعيرة» وفي رواية عند أحمد^{٢٩}: «فليخلقوا مثل خليقي ذرة أو ذبابة أو حبة».

٣. (أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ (١٩٣) إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

من غير أب ولا أم، لكنهما كانا آيتين من آيات الله تعالى.

الثاني: إضافة عيسى إلى أمه، وهذا ما تردد في القرآن كثيرا، حيث هي الرحم التي حملته، وإلى كلمة الله التي بها يقول للشيء كن فيكون، وإلى الله الذي خلقه ليكون عيسى بأمر الله وكلمته من غير أب.

الثالث: المتأمل في القرآن الكريم يرى بوضوح بشرية عيسى عليه السلام، فهو جنين في بطن أمه التي عانت آلام المخاض، واتخذت من أهلها مكانا قصيا، وأنها تمتنت في تلك اللحظات العصبية - خاصة من الناحية النفسية - أن لو كانت نسيا منسيا، وأنها جاءت تحمله طفلا رضيعا، وأن أهلها تعجبوا من صنعها ذلك؛ فهي الصالحة بنت الصالحين، وأن أول ما نطق به عيسى: إثبات عبوديته لله المتمثلة في الصلاة والزكاة، ولا يستكف أن يكون عبدا لله، وأنه رسول كغيره من الرسل، وإثبات نسبته لأمه المتمثل في برها والإحسان إليها، ثم هو وأمه يأكلان الطعام، وأنه يموت ويبعث كغيره من بني آدم.

الرابع: براءة عيسى عليه السلام من ضلال النصراني: (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧)) إِنْ تَعَذَّبْتَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)) كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)) المائدة: ١١٦ - ١٢٠

ورأيت الشيخ أحمد ديدات يرحمه الله يركز على هذه المعاني في حواراته مع قساوسة النصراني، بل يستخرجها من كتابهم المقدس، ويطالبهم أن يثبتوا منه - على اختلاف ترجماته ورواياته - دعوى عيسى الألوهية، وأنه أمر يُعبد من دون الله، فلا يجروا أحد منهم على جوابه. ومشركو العرب أيضا ينسبون إلى الله الولد، وهو قولهم في الملائكة أنهم بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا، وهذه النسبة تتضمن مغالطات كثيرة، رد الله عليها في مواضع شتى من القرآن الكريم، إظهارا للحقائق التالية:

١. كذبهم في وصف الملائكة بالأنوثة، فهو محض افتراء (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ) الزخرف: ١٩

ومع الأسف نجد وصف الملائكة بالأنوثة عند بعض العامة من الناس وهم لا يشعرون، بل نجد بعض الرسومات التي تصورها بذلك. ٢. أن الملائكة عباد الله تعالى يدخلون تحت ربوبيته، ويدينون له بالعبادة، كما قال تعالى: (وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُبِينٌ) الزخرف: ١٥ وقوله: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ) الزخرف: ١٩

وقوله: (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا يَقْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ

رسالته، ثم الاعتراض على نسبة القرآن إلى الله تعالى، ولذلك نماذج منها:

١- الاعتراض على بشرية الرسول:

حكاها الله عن سائر الأمم المكذبين بالرسالات كما في قوله: (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ - قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) إبراهيم: ١٠ - ١١ فمن لطف الله بالناس أن يكون الرسول من جنسهم ولسانهم، وهذا مما امتن الله به على عباده: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) آل عمران: ١٦٤ والرسول البشري يقدر طاقاتهم ويعتذر لهم: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) التوبة: ١٢٨ وبشرية الرسول لا تمنع إرساله بالوحي، بل تؤكد رحمة الله بعباده، وفي آيات سورة إبراهيم ملمح آخر: أن بشرية الرسول عاجزة عن الإتيان بالآيات من تلقاء نفسها، ورسالته تمنعه من الافتئات على الله، وقد ورد هذا المعنى في سورة الإسراء في قوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا - أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خَلَالَهَا تَفْجِيرًا - أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كَسُفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالَهُ الْمَلَائِكَةُ فَبِلَا - أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ

يَشَاءُ وَيَرْضَى) النجم: ٢٦

٣. أن المشركين يختارون لأنفسهم ما يشتهون، ثم يتحكمون في اختيار الله تعالى، فيجعلون له مل يتأفون عنه، قال تعالى: (الْكُفْرُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى - تِلْكَ إِذْ أَسْمَتْ ضِيزَى) النجم: ٢١ - ٢٢. ٤. أن فعلهم هذا يدور بين أمرين: أحدهما: التحكم في الاختيار، فيجعلون لأنفسهم ما يشتهون، ويجعلون لله تعالى أدنى القسمين. الثاني: أن الله تعالى اختار لنفسه أدنى القسمين وأصفاهم بالبنين، كما قال تعالى: (أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا) الإسراء: ٤٠. وإن كان الأول ظاهر البطلان فالثاني أظهر منه؛ لأنه يقتضي أن الله فضل خلقه عليه، وليس في القبح شيء أعظم من هذا.

٥. أنهم جعلوا لله أدنى القسمين مع أنهم لا يرضونه لأنفسهم، بل إذا ابتلي أحدهم بالبنات كان بين أمرين: إما أن يثدها حية، وإما أن تبقى عنده مهانة ذليلة، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟!

٦. أن هذه الدعاوى محض كذب وافتراء لا يملكون عليها دليلا ولا برهانا؛ لا حسيا ولا عقليا ولا نقليا، وإنما هو الهوى الغالب والظن الكاذب: (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَإِبْرَاهِيمُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى) النجم: ٢٣

ثانيا: النبوات:

المنكرون للنبوات تتركز اعتراضاتهم على بشرية الرسول، وعلى تخصيصه بالرسالة دون من الناس، وعلى عدم مجيء ملك معه، وعلى عدم إتيانه بآيات حسية تشهد بصحة

زَخْرَفَ أَوْ تَرَفَّى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْبٍ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (الإسراء: ٩٠ - ٩٣)

فحكمة الله تقتضي أن يكون الرسول من جنس من أرسل إليهم: (قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا) (الإسراء: ٩٥)

ثم إنه لو نزل عليهم ملك فسيكون في هيئة بشر؛ لأنهم لا يطبقون رؤيته على صورته الملائكية، ولو كان على صورة بشر لطالبوا بالدليل على ملائكته، فيعود الاعتراض جذعاً: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ) (الأنعام: ٩)، ولو آمنوا بالملك لربما يعترضون على التكليف معتذرين بأن طاقتهم دون طاقة الملك، فأصل المسألة العناد والاستكبار كما قال تعالى عنهم: (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتَاتِ اللَّهُ يَجْعَدُونَ) (الأنعام: ٢٣)

بل ذهب المشركون إلى أبعد من ذلك إذ نفوا أن يكون الله تعالى أنزل على بشر من شيء: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ - وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) (الأنعام: ٩١ - ٩٢) فهذا سلب عام وقع فيه هؤلاء المعاندون إذ نفوا جنس الكتاب المنزل: ما أنزل الله على بشر من شيء، فانتقض بإثبات قضية جزئية موجبة،

وهي إنزال التوراة على موسى، وهم يعترفون بذلك. ومن آمن بالتوراة حقيقة آمن بالقرآن، فجميعها من عند الله، ويصدق بعضها بعضاً.

٢. الاعتراض على تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة:

وذلك فيما حكاه الله عنهم بقوله: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ) (الزخرف: ٢١) أرادوا بالقريتين: مكة والطائف، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، وقال غير واحد: إنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي؛ الأول من مكة، والثاني من الطائف.^{٢٠} وروي عن الوليد أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك؛ لأنني أكبر منك سناً، وأكثر منك مالاً. وروي أن أبا جهل قال: والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً، إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه.^{٢١} كما قال تعالى: (إِنْ مَا تُوْعَدُونَ لَأَتِ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) (الأنعام: ١٢٤) فردَّ الله مقالتهم واعتراضهم بقوله: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرَ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (الزخرف: ٢٢) أي أن النبوة والرسالة ليس الأمر فيها إليهم، بل إلى الله، والله أعلم حيث يجعل رسالته، فإنه تعالى يختار لها من هو أركى الناس قلباً ونفساً، وأشرفهم بيتاً، وأطهرهم أصلاً، ثم بين سبحانه لهم أن الذي فاوت بينهم في الأرزاق والمعاش فاوت بينهم في الحظوظ.^{٢٢} والنبوة من أعظم الحظوظ (وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرَ مِمَّا يَجْمَعُونَ).

إلى ما وصفوه به في هذه الآيات، فلو أمكنهم أن يعارضوه لفعّلوا، ولكان ذلك أقرب إلى أن يبلغوا مرادهم فيه مما أوردوه في هذه الآية وغيرها، ولو استعان محمد عليه السلام في ذلك بغيره لأمكنهم أيضاً أن يستعينوا بغيرهم، لأن محمداً صلى الله عليه وسلم كأولئك المنكرين في معرفة اللغة وفي المكنة من الاستعانة، فلما لم يفعلوا ذلك - والحالة هذه - علم أن القرآن قد بلغ النهاية في الفصاحة وانتهى إلى حد الإعجاز، ولما تقدمت هذه الدلالة مرات وكرات في القرآن وظهر بسببها سقوط هذا السؤال، ظهر أن إعادة هذا السؤال بعد تقدم هذه الأدلة الواضحة لا يكون إلا للتمادي في الجهل والعناد، فلذلك اكتفى الله في الجواب بقوله: (فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) ٢٣

وقالوا أيضاً: (وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) الفرقان: ٥ وقد علم بالتواتر وبالضرورة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يعاني من الكتابة، لا في أول عمره ولا في آخره، وقد نشأ بين أظهرهم من أول مولده إلى مبعثه، وهم أعرف الناس بأحواله؛ مدخلاً ومخرجاً، وصدقاً ونزاهة، وبرا وأمانة، وبعداً عن الكذب والفجور، وسائر الأخلاق الرذيلة، حتى لقبوه بالصادق الأمين، حتى إذا أكرمه الله بما أكرمه به نصبوا له العداوة، ورموه بهذه الأقوال التي يعلم كل عاقل براءته منها، وচারوا فيما يقذفونه به، واضطربت في ذلك أقوالهم حتى قال الله عنهم: (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) الإسراء: ٤٨ ٢٤

وفي العصر الحديث من المستشرقين من يتهم القرآن بضعف الأسلوب وشدة الركاقة

٣. الاعتراض على نسبة القرآن إلى الله تعالى:

اضطربت عبارات المشركين في وصف القرآن الكريم تشكيكا منهم في إضافته إلى الله عز وجل، وتشكيكا منهم - أيضا - في كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا من عند الله، فتارة يصفون القرآن بأنه إفك مفترى، وتارة يصفونه بأنه أساطير الأولين، وتارة يضيفونه إلى النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره - زعما منهم - شاعرا، أو مجنونا أو ساحرا أو كاهنا، وغير ذلك من العبارات التي تدل على محاولاتهم اليائسة في تكذيب القرآن ومن أنزل عليه. وهذا الاضطراب والاختلاف في العبارات والأوصاف، وعدم اتفاق كلمتهم على تهمة واحدة دليل افتراءهم وجحودهم للحق الذي بان لهم، وعجزوا عن معارضته والإتيان بمثله، أو رده بطريق علمي لهم معتبر. ولهذا قال تعالى ميكتا لهم: (إِنكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلَفٍ - يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَافِكُ - قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ) (الذاريات: ٨ - ١٠)

وكان الفيصل في هذه المسألة - لو كانوا صادقين في معارضتهم واتهاماتهم - أن يستجيبوا لدعوة القرآن في التحدي؛ بأن يأتوا بمثله، أو عشر منه، أو سورة واحدة لا غير. ولهذا قال الفخر الرازي رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا) الفرقان: ٤ «أن هذا القدر إنما يكفي جوابا عن الشبهة المذكورة، لأنه قد علم كل عاقل أنه عليه السلام تحداهم بالقرآن وهم النهاية في الفصاحة، وقد بلغوا في الحرص على إبطال أمره كل غاية، حتى أخرجهم ذلك

وكثرة الأخطاء اللغوية، والجواب عليهم جملة واحدة: لقد أذعن للقرآن؛ لفصاحته وبيانه وقوة أسلوبه ملوك البيان من معاصري القرآن، مع شدة حرصهم على معارضته، واكتشاف خلله، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فليصمت من هو دونهم.

ثالثا: البعث،

البعث إعادة الحياة للأَمْوات وخروجهم من قبورهم يوم القيامة للحساب والجزاء، والمشركون والكفار والماديون ينكرون ذلك كله اعتمادا على مجرد استبعاد وقوعه، كما حكي الله عنهم ذلك في مواضع كثيرة من القرآن الكريم؛ منها: (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ) ق: ٢٣

وقوله: (أَيَعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مَخْرُجُونَ - هَبْهَاتْ هَبْهَاتْ لِمَا تُوعَدُونَ - إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) المؤمنون: ٣٥-٣٧ وجعلوا ذلك من أساطير الأولين: (لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) المؤمنون: ٨٣

وقد رد الله عليهم في إنكارهم البعث بأنواع من الردود منها: ٢٥

أولا: الاستدلال على إمكانية البعث بأمثلة واقعية، من ذلك ما فعله الله في دار الدنيا ببعض خلقه من الإماتة والإحياء، ذكر خمسة من ذلك في سورة البقرة وحدها هي:

١. موت بعض بني إسرائيل من أصحاب موسى عليه السلام عقوبة لهم ثم إحيائهم مرة أخرى ليستوفوا آجالهم. ٢٦

٢. صاحب بقرة بني إسرائيل الذي قُتل فأحياه الله بضربه ببعض البقرة حتى جلس

أحيا ما كان، فأخبر بقاتله، ثم مات. ٢٧

٣. الأربعة آلاف الذين خرجوا من ديارهم فرارا من الطاعون فأدركهم الموت حيث أمّنوا الموت، ثم أحياهم الله بسبب دعوة نبي مرّ عليهم. ٢٨

٤. قصة الذي مرّ على قرية خاوية على عروشها، فأماته الله ثم أحياه. ٢٩

٥. قصة الطير الذي أجرى الله موته وحياته على يد إبراهيم عليه السلام. ٣٠

ثانيا: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى، وهو الاستدلال بالشاهد على المتوقع الغائب، وله في القرآن الكريم أمثلة كثيرة منها قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نَّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِنَبْلُوَكُمْ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ - ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ - وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ) الحج: ٥-٧

فهذا الاستدلال يتضمن: وجود الخالق، وأنه الحق المبين، وأنه على كل شيء قدير، ومن كمال قدرته أنه يحيي الموتى، وإثبات مجيء الساعة التي ينال فيها كل عامل نتيجة عمله، وأنه سبحانه كما أخرج الخلق من التراب في النشأة الأولى، والنبات من الأرض كما هو مشاهد، كذلك يخرج الموتى من قبورهم أحياء.

ثالثا: الاستدلال على إمكان البعث بخلق

عدل الرب وحكمته، فكان لا بد من يوم يحضر فيه الجميع بين يدي الملك الديان سبحانه وتعالى، ليقصص للمظلوم من ظالمه، ولينال كل محسن ومسيء جزاءه؛ قال تعالى: (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) البقرة: ٢٦ قال ابن الحنبلي: «وقد قال بعض الحكماء: ثبت أن الله عز وجل حكيم، والحكيم لا ينقض ما بنى إلا لحكمة أتم من حكمة النقض، ولا يجوز أن تكون أنقص ولا مماثلة على ما لا يخفى».^{٤٢}

الخاتمة:

أسجل في خاتمة البحث النتائج التالية:

١. عناية القرآن الفاتقة بالاستدلال العقلي، واستخدام قواعده الفطرية الضرورية، والعقل من أكثر الأشياء توزعا بالتساوي بين الناس، مما يجعل القرآن حجة على العالمين، خاصة الذين لا يؤمنون بمرجعية القرآن.
٢. الحجة القرآنية دائمة دوام الوجود، لأنها تقوم على حقائق لا يغير فيها الزمان ولا المكان ولا الإنسان.
٣. الحوار القرآني مقصده الأساس الهداية، لا مجرد الغلبة والفلج، وإن كان ذلك من نتائجه الطبيعية.
٤. الحجة القرآنية تفيد اليقين والعلم الضروري، وإن كانت بعض أدلة الأحكام التكليفية ليست كذلك لاختلاف المقاصد.
٥. المخالفون لأحكام الإسلام ليسوا بعبقلايين، إذ لو كانوا كذلك لوافقوه، وإنما هو اتباع الظن والهوى، أو العلو والاستكبار.
٦. الحجة القرآنية تحمل إلى جانب عمق الاستدلال وقوة البرهان، جمال العبارة، وروعة

السموات والأرض إذ هي أكبر وأبلغ في القدرة من إعادة الحياة إلى ميت كان حياً ثم مات، قال تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) الأحقاف: ٣٣

قال ابن القيم رحمه الله: «والمقصود أنه دلهم سبحانه بخلق السموات والأرض على إعادة البعث، وأكد هذا القياس بضرب من الأولى، وهو أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس، فالقادر على خلق ما هو أكبر وأعظم منكم أقدر على خلقكم، وليس أول الخلق بأهون عليه من إعادته، فليس مع المكذبين بالقيامة إلا مجرد تكذيب الله ورسله وتعجز قدرته، ونسبة علمه إلى القصور، والقدح في حكمته...»^{٤٣}

رابعا: الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله تقتضيان البعث والجزاء؛ إذ حكمته تعالى ومحبته للحق، وبغضه للباطل، والتمييز بين الخبيث والطيب، والمسيء والمحسن، كل ذلك يأبى إلا أن يكون هناك يوم آخر بعد نهاية الدنيا، ينال فيه كل إنسان جزاءه، وما يستحقه من الثواب والعقاب على ما قدّم من خير أو شر.

فإننا نرى أناسا يفارقون الدنيا وهم ظلمة لغيرهم، لم يقتص منهم، وفي المقابل نرى آخرين يفارقونها مظلومين لم ترد إليهم ظلامتهم، ونرى أشرا فيها منعمين، وأخيارا فيها معذبين، فإذا ذهب كل إنسان بما فعل ظلما كان أو مظلوما، محظوظا كان أو مهضوما، من غير انتصاف للمظلوم من الظالم، ومن غير تمييز للمحسن على المسيء، كان ذلك قدحا في

الأداء، وحسن التصوير، مما يأخذ بالعقل والوجدان جميعاً.

٧. غالب الاستدلال القرآني على الأمور الغيبية يكون بقياس التمثيل، ومن ذلك قياس الغائب على الشاهد، فأحد طرقيّ الحجة أمام عيني الخصم.

٨. استخدم القرآن قاعدة: النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، لتقرير الإيمان والتوحيد وإبطال الإلحاد والشرك، وهي قاعدة عقلية يقينية.

٩. استخدم القرآن أسلوب إلزام الخصم من فحوى كلامه، ليكون أبلغ في الاحتجاج عليه.

١٠. القرآن قد يجاري الخصم في التسليم ببعض مقدماته؛ ليبين له أنها لا تؤدي إلى مقصوده، بل إلى ضده.

١١. في بعض المواضع يُظهر القرآن الخصم فارغ اليد من أية حجة، إلا التحكم والتشهي على عادة المستكبرين.

١٢. قد يدخل القرآن في تحد مع الخصم العنيد. ممن يؤمن بالنبوات في الجملة.

يستعجل هلاكه وبواره، مع علم القرآن أنه لن يستجيب للتحدي، حرصاً على الدنيا الفانية.

وصلّى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه..

المراجع:

- ١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م لبنان.
- ٢- الإحكام في أصول الأحكام لأبي محمد علي بن حزم الظاهري، خدمة: أحمد شاكر، مطبعة العاصمة، القاهرة.
- ٣- استخراج الجدل من القرآن الكريم، ناصح الدين عبد الرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي، تحقيق: د. زاهر بن عواض الألمي.

- ٤- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، تحقيق: السيد أحمد سقر، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٧٢م مصر.
- ٥- أعلام الموقعين عن رب العالمين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، خدمة: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.
- ٦- بدائع الفوائد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، إدارة الطباعة المنيرية، بيروت.
- ٧- تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م القاهرة.
- ٨- التفسير الكبير، الإمام الفخر الرازي، دار الحديث العلمية، الطبعة الثانية، طهران.
- ٩- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٢٨٧هـ/ ١٩٦٧م القاهرة.
- ١٠- درء تعارض العقل والنقل، أبو العباس أحمد بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م الرياض.
- ١١- الرد على المنطقيين، أبو العباس أحمد بن تيمية، إدارة ترجمان السنة، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م لاهور، باكستان.
- ١٢- شرح الولدية في آداب البحث والمناظرة، عبد الوهاب بن حسين الأمدي، المطبعة الجمالية ١٣٢٩هـ مصر.
- ١٣- صحيح البخاري بشرح فتح الباري، الحافظ أحمد بن حجر المسقلاني، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن باز، خدمة: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٨٠هـ.
- ١٤- لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت.
- ١٥- الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، خدمة: الشيخ إسماعيل الأنصاري، دار إحياء السنة النبوية، مصر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م بيروت.
- ١٦- المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل، خدمة: أحمد محمد شاكر، دار المعارف ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م مصر.
- ١٧- معترك الأقران في إعجاز القرآن، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة، تاريخ الإيداع ١٩٦٩م بيروت.
- ١٨- المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، دار غريب للطباعة، القاهرة.
- ١٩- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي، الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م مصر.

- ٢٠- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الراغب الأصفهاني، المطبعة الميمنية، ١٣٢٤هـ - مصر.
- ٢١- القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي - دار الجيل بيروت، مكتبة المعارف الرياض.
- ٢٢- الكافية في الجدل، أبو المعالي الجويني، تحقيق د. فوقية حسين، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م القاهرة.
- ٢٣- مناهج الجدل في القرآن الكريم، د. زاهر عواض الألمعي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض.
- ٢٤- استخراج الجدل من: ٦٧-٦٨.
- ٢٥- انظر: مناهج الجدل من: ٨١-٨٢.
- ٢٦- ٦٠٣/٨ (فتح الباري) كتاب التفسير ج: ٤٨٥٤.
- ٢٧- انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٢٤٥.
- ٢٨- ٥٢٨/١٣ (فتح الباري) كتاب التوحيد ج: ٧٥٥٩.
- ٢٩- مسند الإمام أحمد ٢/ ٣٩١.
- ٣٠- انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٩.
- ٣١- انظر: تفسير القرطبي ٧/ ٧٩-٨٠.
- ٣٢- انظر: تفسير ابن كثير ٤/ ١٢٩.
- ٣٣- التفسير الكبير ٢٤/ ٥٠.
- ٣٤- انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٢٩٩.
- ٣٥- انظر: معترك الأقران - السيوطي ١/ ٥٥٨-٥٥٩، ومناهج الجدل - الألمعي من: ٣٠٥ وما بعدها.
- ٣٦- انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٨٩-٩٠ والآيات ٥٥-٥٦ من سورة البقرة.
- ٣٧- انظر: المرجع السابق ١/ ١٠٨ والآيات ٧٢-٧٣ من سورة البقرة.
- ٣٨- انظر: المرجع السابق ١/ ٢٨٢ والآية ٢٤٣ من سورة البقرة.
- ٣٩- انظر: المرجع السابق ١/ ٢٩٧ والآية ٢٥٩ من سورة البقرة.
- ٤٠- انظر: المرجع السابق ١/ ٢٩٨ والآية ٢٦٠ من سورة البقرة.
- ٤١- أعلام الموقعين ١/ ١٤٧.
- ٤٢- استخراج الجدل من: ٩٨.

(هوامش)

- ١- الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١/ ٢٤-٢٥.
- ٢- الفقيه والمتفقه للبغداد ٢/ ٥٧.
- ٣- انظر: لسان العرب ٤/ ٢١٧ وما بعدها، مادة حور، وتاج العروس للزبيدي ٣/ ١٦١ وما بعدها، مادة حور، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني من: ١٣٤-١٣٥.
- ٤- رواه مسلم وغيره، انظر: صحيح مسلم ١/ ٧٩ كتاب الإيمان ج: ٦١.
- ٥- وانظر: معجم مقاييس اللغة - ابن فارس ١/ ٤٣٣ مادة جدل.
- ٦- انظر: قواميس اللغة، على سبيل المثال: لسان العرب ١١/ ١٠٣-١٠٥ مادة جدل، وتاج العروس ٧/ ٢٥٢-٢٥٤ مادة جدل، والقاموس المحيط ٢/ ٣٥٧ مادة جدل، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني من: ٨٧-٨٨.
- ٧- شرح الولدية من: ٨.
- ٨- انظر: الكافية في الجدل من: ١٩.
- ٩- انظر: المعجزة الكبرى - أبوزهرة من: ٣٨١.
- ١٠- انظر: المعجزة الكبرى - أبوزهرة من: ٣٤٣.
- ١١- الإيجاز للباقلاني من: ٤٢.
- ١٢- صحيح البخاري ٩/ ٣ (فتح الباري) كتاب فضائل القرآن - باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ج: ٤٩٨١.
- ١٣- دره تعارض العقل والنقل لابن تيمية ١/ ١٦٠، والرد على المنطقيين من: ٣٢١.
- ١٤- الرد على المنطقيين من: ٢٤٨.
- ١٥- انظر: الإتيان في علوم القرآن ٢/ ٣٥٧، ومعترك الأقران ١/ ٤٦٠-٤٦١.
- ١٦- انظر: المعجزة الكبرى من: ٣٧٧.
- ١٧- انظر: معترك الأقران ١/ ٤٦١-٤٦٢، والإتيان في علوم القرآن ٢/ ٣٥٩، واستخراج الجدل من: ١١٥-١١٦.
- ١٨- الإتيان ٢/ ٣٥٩-٣٦٠.
- ١٩- انظر: استخراج الجدل من: ١١٤.
- ٢٠- انظر: معترك الأقران ١/ ٤٦٢ والإتيان ٢/ ٣٦١، ومناهج الجدل